الرجال تلك الحبال وحرّكوها ويكون قد سدّوا آذانهم بالقطن نعماً فانهُ يخرج منهُ اصوات عجيبة جدًّا على ما وصفنا ان شاء الله

الألعاب الرياضيَّة في المدارس النصرانية

نظر الاب ايل ربنو اليسوعي

قال السيد بونزد (١ رئيس مكتب ليل الكاثوليكي في كتابهِ النفيس عن نظام المدارس النصرانيَّة : « ان الكنيسة الكاثوليكيَّة لم تُطوف ترعى اولادها فتصون اجسادهم وتسوس نفوسهم معاً. اجل ان اهتمامها الاول بالارواح لشرفها لكنَّها لا تفصل الجسم عن النفس وكما تفرض الصلاة للنفوس كذلك تصلي على الاجساد . لانَّ غاية النصرانيَّة ان يحرز العالم « شعوباً ذوي عقول راجحة في اجساد سليمة » على قول الشاعر اللاتيني

وهو قول نعماً جاء مصداقاً عليهِ ما جرى مؤخرًا في بلاط الڤاتيكان . وذلك ان اربعين شركة من شركات الشبان الكاثوليك المجتمعين للرياضيات البدنية كانوا قصدوا من كل انحاء ايطالية عاصمة الكثلكة ليمثلوا امام قداسة ابي المؤمنين الحبر الاعظم بيوس العاشر جميع اعمال الفروسيَّة واصناف الالعاب الرياضيَّة . وقبل ان يباشروا بهذه الترويضات جثوا منحنين امام نائب المسيح ليتالوا بركتهُ ثمَّ تسارعوا الى ساحات الڤاتيكان وحدائقهِ . وكان لكل شركة رايتها وشعارها الخاص بها ولبسها الرسمي فتقدموا بكل نظام وتجاروا في لعب لعب بحذاقة غريبة ونشاط لا مزيد عليهِ فتسابقوا بالجري والوثوب وركض الدرّاجات وضرب الكري وركوب الخيل ولعب الحُجُز (les barres) وكان نيافة الكردينال وزير الدولة البابوية يتصدَّر في هذه الالعاب ليحكم في فوز الغالبين . وكانت الأسباق المعيَّنة للمنتصرين غالية الثمن جميلة الصنع منها انواط ذهبيَّة وفضيَّة قدَّمها امام الاحبار ومنها صورة من عمل احد مشاهير المصورين كانت تمثل بحيرة في البندقيَّة اهداها الكردينال ماري دلڤال ومنها مجموع تصاوير فوتوغرافية بديعة الاشكال للكردينال كاڤاني ومنها ساعة ثمينة في غلاف من الصيني

(١ راجع Mgr Baunard : *Le collège chrétien*

المزين بنقوش الميناء البرنس بربريني ومنها سجادة تركيَّة تأخذ بالابصار لحسن نسجها ودقة صنعها وأسباق اخرى يطول تعدادها

وكان الاب الاقدس عيَّن لهذه الجمعيات القادمة الى رومية يوماً حافلاً ليستعرض لفيف اعضائها ويوزع على الفائزين ما رجوه من الجوائز ووافق ذلك يوم الاحد الواقع في ٨ تشرين الاول. ومنذ صباح النهار بادر هؤلا الشبان برايانهم وبزَّاتهم الجميلة الى كنيسة القديس اغناطيوس الرسمة الغناء فحضروا الذبيحة الالهية التي قدمها الكردينال كاتاني على مذبح شفيع الشبيبة وقدوتها القديس لويس دي غنزاغا وابدوا من شواعر الايمان والتقوى ما كان يعمل في قلوب الحضور ويستنزف دموعهم. وقد تقرَّب اكثر هؤلاء الشبان من المائدة الطاهرة واغتذوا بخبز الملائكة الذي يحفظ النفوس في براءتها ويصون الاجساد من فساد المآثم

وفي ضحى النهار تشرف رؤساء الجمعيات الرياضيَّة مع مندوبي كل شركة من الشركات الاربعين بمواجهة الحبر الاعظم فاجتمعوا في اروقة الطابق الاول من بلاط الفاتيكان على نظام جميل. فما عتم ان اشرقت انوار قداسته فتقدم بين صفوفهم مرحباً باسماً وميَّز بين الحضور مندوبي جمعيَّة شبَّان البندقيَّة التي أُنشئت تحت حمايته الشخصيَّة بضعة شهور قبل ارتقائه الى السدَّة البطرسيَّة

ثمَّ دخل عظيم الاحبار الردهة الملكيَّة واستوى على عرشه محفوفاً باهل بلاطه فتبعهُ المندوبون على نظام عسكريّ واصطفُّوا بازائه ثمَّ تقدَّم الكومندور باريكولي الرئيس العام على جمعيَّات الشبيبة الايطالية الكاثوليكيَّة فقرأ عريضة قال في جملتها : « قد قدمتْ على قداستك زهرة شبَّان ايطالية الكاثوليك المنتظمين في شركات الالعاب البدنيَّة يطلبون بركة خاصة لمشروعهم الذي عاداه البعض من اخصام الدين وتلقاهُ غيرهم من الكاثوليك بالتحذُّر والنفور. امَّا جلُّ غاية مديريهم فهي ان يردُّوا الشبَّان عن المضاربات والالعاب الضارَّة بنفوسهم واجسادهم بان يجمعوهم في جمعيَّات منظَّمة قانونيَّة ويقوِّموا ابدانهم بالالعاب الرياضيَّة ويصونوا ارواحهم عن الاخطار المحدقة بهم ويزيدوهم علماً بالمبادئ الدينيَّة. وبخلاصة القول ان يجعلوهم رجالاً كاملين نفساً وجسماً بحيث يكونون خدَّاماً امناء لالههم ولوطنهم. فلتحلّ بركة قداستك عليهم لتؤازرهم وتجعل نفوسهم شديدةً كبنية اجسادهم فيعودوا الى بلادهم كما كان يخرج

المسيحيّون الاولون من الديامس ليذهبوا الى منقع الدم ويدافعوا عن ايمانهم بازاء العالم لا يبالون بسخرية الكفرة ولا يستحيون من دينهم امام البشر »

وكان جواب الاب الاقدس على هذه العريضة بخطاب يسيل رقّةً وعطفاً نختصر منهُ بعض فقراته: « ان وجودي بينكم ايها الشباب لمّا يفعم قلبي تعزيةً وانا اراكم تمثلون سنّ العواطف النبيلة والاعمال الجليلة والفوز الباهر . وكما ان السيد المسيح الذي يعيش بين طبقات الملائكة وجد لذة في الشباب لانهُ نظر ذات يوم الى شاب وأحبهُ هكذا الآن لدى مشاهدتي اياكم لشعر بحاجة الى التصريح لكم بانني احبكم وانكم لا يجب ان تعتبروني فقط ابًا بل احسبوني ايضاً اخًا لكم وصديقاً حميماً . وبهذه العواطف لا اقتصر على استحسان اعمالكم في سبيل الديانة بل انني اثني وابارك على كل العابكم وملاهيكم من جناز ودرّاج وملاحة وركض ومسابقات وجلسات علمية لان تمرينات الجسم تؤثر كثيرًا على تمرينات العقل وتدفعه الى الشغل والعمل وتقيكم من البطالة التي هي أم الخبائث فضلًا عن ان المنافسات الولائية بينكم تكون رمزًا لمنافستكم في سبيل الفضيلة . فتشددوا في المحافظة على ايمانكم والدفاع عنهُ . تشددوا في الامانة والاخلاص للكنيسة . تشددوا في توطيد كلمة الله فيكم واظهارها في اعمالكم . تشددوا في التغلب على كل الموانع التي تعوقكم عن الاعمال الكاثوليكيّة العائدة منفعتها لكم ولاخوانكم . لا تخافوا من الكنيسة ان تحملكم احمالاً ثقيلة او تحرمكم من الملاهي الجائزة . بل جلُّ غرضها ان تنهكم نبالة سنكم فائقاً هو من الآمال والرجاء والحميّة فينبغي ان تصرفوه في ما يحسن حتى اذا وافى خريف الحياة امكنكم ان تجنوا اثمارًا على قدر الازهار التي طلعت في الربيع ولهذا اوصيكم فقط بان تشيدوا كل اعمالكم على اساس مخافة الله بتقوى مسيحية »

وكان ختام هذا الخطاب العسجدي قولهُ قدستهِ :

« ايقنوا اذًا ايها الشباب الاعزاء انهُ اذا خلت القلوب من اساس الديانة انطفأت في النفوس كل عاطفة شريفة حتى الاستقامة الطبيعية ايضاً ولهذا اكرر عليكم التوصية بأن تحبُّوا التقوى ومارسوا واجبات الديانة حتى تصيروا قادرين على غلبة الجبان البشري غير خجلين من ان تكونوا مسيحيين كاثوليكيين بالقول والفعل معاً »

وفي عصر ذلك النهار الجليل جرت حفلة ثانية اجتمع فيها كل الشبان بمشهد جميل

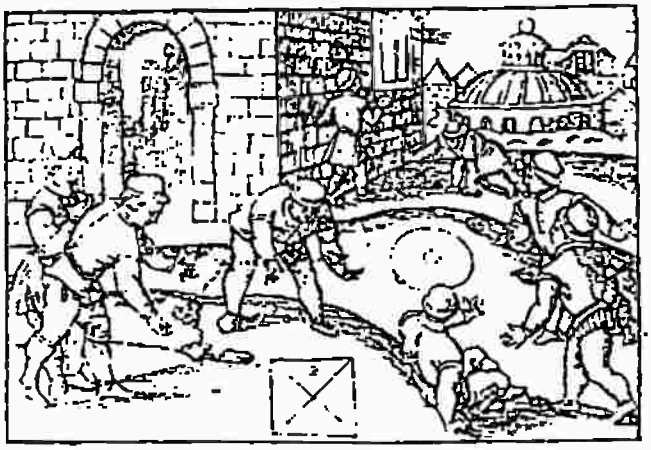

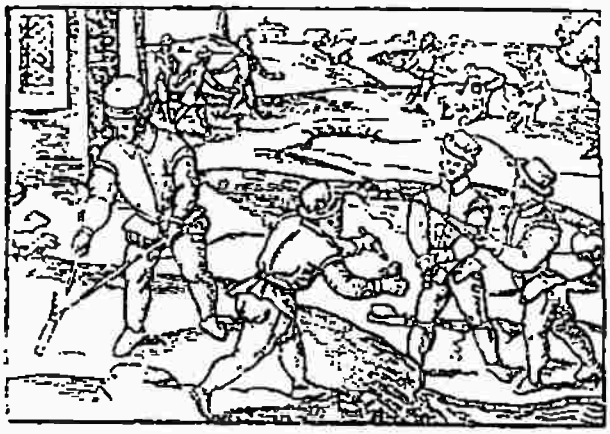

صور قديمة تمثل طلبة المدارس اليسوعيَّة في العابهم اليوميَّة

باخذ بجامع القلوب . وذلك انَّ دكَّة واسعة كانت اقيمت في ساحة القديس داماس جلس عليها الحبر الاعظم تحدق به الكرادلة ومنصَّبو البلاط الڤاتيكاني كالهالة بالقمر . ثم امثل امامهُ لفيف الشبان وبعد التحيَّة العسكريَّة لقداسته اخذوا يمثلون امام نائب المسيح ما اعتادوه من الالعاب ببراعة ونشاط عجيبين . وكان الاب الاقدس وحاشيتهُ ينظرون الى هذه الرياضات كما تنظر الامُّ الى ولدها يتدفَّق من وجهه ماء الحياة في ميعة شبابه وكثيرًا ما كان يصفقون لهم اعجابًا ويبشون هممهم ويتتبَّعون كل حركاتهم لتنشيطهم في كل العابهم اللطيفة من فروسيَّة وجمناز وركوب درَّاجات ولشواط وتسابق في الجري

ولمَّا انتهت الالعاب أُعلنت اسماء الفائزين فاستقدمهم البابا الى عرشه فكان كلٌّ منهم يجثو راكعًا امام منصَّته ويقبِّل يدهُ الطاهرة وينال منهُ الجائزة التي استحقها . ثم امر قداستهُ بأن تتقدَّم له رايات كلّ الجمعيات المزركشة بالذهب المنسوجة عليها شعارهم فعلَّق على كلّ راية منها نوطًا ذهبيًّا طبعت عليهِ هذه الكلمات : « لبرّ البنين ولحبّ الاب » وبذلك انتهت تلك الاعياد الشائقة التي لن يبرح ذكرها من قلب هولاء الشبَّان طول حياتهم

*

على انَّ هذه الحفلات البهيجة تذكِّرنا بالالعاب الرياضيَّة الشائقة في المدارس النصرانيَّة فاحببنا ان نفرد لذلك فصلًا ليرى القرَّاء انَّ ما جرى حديثًا في الڤاتيكان ليس هو امرًا ابتدعهُ الكاثوليك في هذه الايام الاخيرة كأنَّهم حذوا فيهِ حذو بعض الجمعيَّات الانكليزيَّة او الاميركيَّة بل انَّما هو امر قديم اعادوهُ بالامس عدَّة قرونٍ فجعلوهُ في نظام مدارسهم لعلمهم بأن الرياضات البدنيَّة من اقوى العوامل على حسن التربية وتهذيب الاخلاق وقد رسمنا هنا (انظر الاشكال ص ٣١) تصاوير قديمة تمثِّل الالعاب الرياضيَّة التي كان قدماء اليونانيين ادرجوها في مدارسهم وهي مصونة في قاعة الرسوم (cabinet des estampes) في مكتبة باريس . وهذه الالعاب وغيرها ايضًا لا تزال شائعة في كتائبهم الى يومنا هذا كما يعلم كلٌّ من درس عندهم . والمنصَّبون منهم على نظارة الطلاب لا يكتفون بتنشيط التلامذة على الالعاب بكلامهم بل تراهم يبشونهم عليها

بمثلهم فيستهجنون بالاحداث ويجعلون نفوسهم كالبعض منهم ليكونوا قدوةً لهم بالعمل اكثر منهم بالقول

ولعمري نعم ما يعملون فانَّ شبَّان المدارس يقضون ساعات طويلة في دروس متعبة شاقَّة ان داوم عليها الاحداث ذبلوا بعد مدَّة وتضعضعت قواهم وتعرَّضوا للامراض الصدريَّة والسلّ . ومن ثمَّ ليس شيء كالالعاب الرياضيَّة التي بها تتمرَّن اعضاؤهم وتشتدُّ عضلاتهم في ساحات واسعة طيِّبة الهواء . ولو اردت ان تعلم ذلك بالعيان فادخل في ساعة العطلة باحة المدارس وانظر الى هولاء الشبَّان وهم في عدد ستين او سبعين طالبًا قد تأهَّبوا للعب بالكرَة المعروفة بالانكليزيَّة فهاكهم انقسموا الى فرقتين لكل فرقة رأيتها فما تلبث الكرة ان تتطاير من يد الى يد بين صعود وهبوط وذهاب وايابٍ . ففرقةٌ هاجمة تضرب بها لتدخلها دون ان تمسَّ الحضيض تحت حبل ممدود بين عامين وفرقةٌ مدافعة تسعى جهدها في ردِّ الكرَة عن الغاية المقصودة لئلا يفوز مناظروهم بغلبة عليهم ويقوموا مقام المنتصرين . فلا يصتم الفريقان ان يلتحما وتتجه العيون كلها جمعاء الى الكرة ليتلقفها هذا من ايدي ذاك ويدفعها الآخر عن الهدف ويتراكض الكلّ ويتسابقون بحركات شتَّى حتى اذا فاز الفريق الهاجم بادخال كرته تحت الحبل سمعت اصوات الظفر راقيةً الى عنان السماء اما اذا فشل فيبقى النصر للفرقة المدافعة ولا تمرّ على الفريقين بضع دقائق حتى يسيل العرق من الابدان وهم في تلك الاثناء ينسون تمامًا الكتب وملحقاتها وتسري في عروقهم حياة جديدة فتأنس ارواحهم وتتطاير همومهم ليستأنفوا الدروس بنشاط اعظم

وما قلناهُ عن لعب الكُرَة يصحُّ في العاب أُخرى متعدِّدة كالمباراة في الركض والعاب الطابة باصنافها وركب العجلات والمشي على الاخشاب (jeu d'échasses) والسباق بها ورُبَّما انتصب الماشي على خشبة باحدى رجليه وحاول بالثانية ان يدحرج على الحضيض كرةً خشبيَّة ليولجها في دائرة معلومة . وفي بعض هذه الالعاب يمثلون قلعةً تحيط بها اسوار من الآلات الخشبيَّة يسعى احد الفريقين بهدمها بادوات معيَّنة من الكرين وغيرها بينما يدافع عنها الفريق الاخر ويتصدَّوا للكرة بعصيّ . فهذه الالعاب وغيرها قد اعتادت عليها المدارس النصرانيَّة تتراوح بينها في كلّ فصول السنة لئلا يأخذ السأم قلوب الاحداث فينفروا عنها . وقد وضع الآباء اليسوعيُّون لمدارسهم

كتباً في اصناف الالعاب المناسبة للمدارس ولترويض ابدان الطلاب وترويح نفوسهم معاً مع بيان كيفيَّة كلّ لعب وشروطهِ ومنافعهِ نخصُّ منهـا بالذكر كتاب الابوين دي نداليك وروسو (de Nadaillac et Rousseau: *Les jeux de Collège*)

وان قابلنا بين هذه الالعاب الرياضيَّة وغيرها من اسباب الراحة وجدناها تفوق عليها من وجوه فانَّها افضل من النزهة خارج المدرسة لأنَّ في النزهة يخرج التلامذة على صنفَيْن ويمشون قرب واحـد او اثنين من رفقتهم فلا يمرّنون سوى سوقهم ولا يتصرَّفون في حركاتهم كيفما شاؤوا ولعلَّهم مشوا بقرب رفقةٍ لا يلائمونهم طبعاً وذوقاً مع ما يجدون في طريقهم من الاوحال او الغبرة ومزاحمة السابلة او العَجَلات وليس شيءٌ من ذلك في الرياضات البدنيَّة الموصوفة سابقاً

وكذلك تفضل هذه الالعاب على الرياضات المنفردة المعروفة بالجمنزتيك التي لا يمكن ان يشترك فيها الَّا القليلون ويبقى القسم الاكبر من الطلَّاب واقفين ينظرون الى حركات المتروّض دون ان ينالوا شيئاً من منافع العابهِ . وان جاز لكل واحد في دورهِ ان يتزاوف ويمرّن اعضاءهُ بالحبل او بالاراجيح او بتسلُّق الاخشاب فلا يكون لهُ منها الَّا نصيب وجيز بخلاف الالعاب العموميَّة التي لا يُحرم احد من فضلها

وهي بالحري اولى من الالعاب الهادئة التي تشغل الفكر دون ترويض الجسد كالشطرنج والدامة والنرد والدومينو ولاسيما الاوراق (الشدَّة) التي تفتح في الغالب باباً للمقامرات وما ينتج عنها من النتائج الوخيمة . فترى اللاعبين يقضون الساعات لا ينبسون بكلمة وهم يصرفون نظرهم الى مقامرة ملاعبهم طمعاً في الربح وربَّما مرَّت عليهم هجمات الليل دون ان يأووا الى الفراش . ولا يخفى ما في هذه الالعاب من المضرَّات وما ينجم عنها من العواقب السيئة (١ فشتَّان بين هذه الالعـاب والرياضات البدنيَّة التي نحن في صددها والفرق بينهما اظهر من ان يحتاج الى بيان

ومن منافع الالعاب البدنيَّة الجارية في المدارس النصرانيَّة انها لا تقوّي فقط الجسم وتفتل عضلاتهِ وتشدّد اعضاءهُ بل تريح ايضاً ألباب الاحداث وتخمد هيجان قواهم العقليَّة . فانَّ الدروس تقضي عليهم بكدّ النظر ومداومة الفكر لادراك

١) راجع مقالة الدكتور لطف الله لطفي في القمار والامراض العصبية (المشرق ٨ : ١٠٧)

المعقولات وحفظها في اذهانهم فتليها الالعاب لتبرّد تلك الحرارة وتفعل في عقولهم فعل النسيم في الارض المتوقدة حرارةً او فعل المطر في الموات فيحييها ويستخرج كنوزها الدفينة فلا تلبث ان تبدو جراثيمها وتزكو غلّاتها وكذا عقل الدارس اذا انعشتهُ الرياضة البدنيَّة زال توتّره وزاد اقبالهُ على العلوم

ولهذه الارتياضات منفعة ثالثة لا تفوت ارباب المدارس وكلّ من يُعنى بتثقيف الشبّان ألا وهي صرف افكارهم عن التخيُّلات القبيحة وضبط السنتهم عن هُجر الكلام وبذيّ الاقوال التي يعتادها كثيرون من الاحداث فتقوم لديهم مقام السياج حول الحديقة الغنّاء يصونها من لفحات السموم ونفحات القرّ . فقل لي ناشدتك الله اذا ما خرج الدارسون من دروسهم واجتمعوا في ساحة اللعب دون ان يلعبوا فالى اي شيْ تنصرف افكارهم وعلى اي امرٍ يدور محور كلامهم . أعلى الدروس والعلوم وقد اختلف الدرس قواعم ؟ او على ماجريات السياسة والتجارة وهم دون ذلك سنًّا وقدرةً ؟ افليس يتسابق لسانهم الى احد امرين امّا الى الانتقاد على معلّميهم والتشكي من مربّيهم واما الى الاحاديث الخلاعيَّة التي تدفعهم اليها ميعة الشباب واهواء القلب الباطلة . وفي كلا الامرين اسوأ عاقبة فتصبح المدارس كثير لا يُطاق او تصير كماخور يسري فيها روح الفساد وناهيك بذلك سمًّا ناقعًا للآداب السليمة وموتًا زؤافًا للعلوم نفسها التي تجد في طهارة النفس اكبر نصير

وزد على هذه المنافع ان رياضة البدن كثيرًا ما تساعد على ترويض الاخلاق . ألا ترى المُهر الشموس كيف يكبح سائسهُ حركاتهِ الغريزيَّة غير المرتبة فانهُ لا يزال يركضهُ في الميدان ويجريهِ اشواطًا ويوئبهُ تارةً وتارة يوقفهُ على بغتة حتى يصير لديهِ اطوع من بنانهِ ويسوسهُ كيف شاء . فكذلك الاحداث فانّ في طباعهم اميالاً منحرفة لا تصلحها غير الالعاب الكثيرة الحركة فانّ الدارس يقهر بلادتهُ الطبيعيَّة ويغصب نفسهُ على الركض ويبذل ما لديهِ من العزم حينًا ليفرّ من ضربات رفقتهِ وحينًا ليوقف متاونهُ وتارةً ليفوز بجائزة مرغوبة وهو مع ذلك في حاجة الى حفظ شروط اللعب ومطاوعة رئيسهِ والرغبة في ابداء حذقهِ ومهارتهِ فيعتاد شيئًا فشيئًا على كل المزايا التي تجمل الرجل كاملًا وينطبع على كلّ الاخلاق الحسنة فتسهل لديهِ ممارسة الفضائل المسيحيَّة والوصايا الالهيَّة

ويمكننا أن نضيف الى هذا الباب فائدة أخرى يلحظها ارباب المدارس في الطلبة الحنين للالعاب البدنيّة وهي انّها تصلح عيوباً كثيرة في خَلقهم وخُلقهم فقد عرفنا اولاداً كانوا لا يتحرّكون حركة او يقولون كلمة دون أن يُضحكوا منهم رفقتهم لحُرق في طباعهم او عيب في اجسامهم فلمّا احتكّوا باترابهم واختلطوا بهم في اوان اللعب اضحوا بعد قليل رشقاء الحركات لبقاء الاخلاق ممتازين بكل تحرّفهم يعملون برزانة ويتجرون على تقانص القريب ويعاملون كلًّا على طبعه حتى اذا خرجوا من المدارس كانوا قدوة لغيرهم بحسن سجاياهم وحميد خصالهم وانس طباعهم

فترى ما تحت الالعاب البدنيّة من كبير الفائدة للاحداث لا بل يُقال انّها حاجة لا ندحة عنها في تربية الدارسين فاذا سها عنها ارباب المدارس اصيبت معاهدهم العلميّة بضربة لازبة . على أنّنا نرغب انّ هذه الرياضات البدنيّة لا تبقى فقط منزوية في احواش المدارس بل يعتادها الشبّان بعد دروسهم الاوّليّة سواء دخلوا في التجارة او تفرّغوا للدروس العليا من الفقه والطب والهندسة وغير ذلك فانّهم لا يزالون في حاجة ماسّة الى الرياضات البدنيّة والالعاب الكثيرة الحركة لينمو جسمهم ويصفو عقلهم ويتحاشوا الاجتماعات المريبة او المقامرات السيئة : ولا غرو انهم يجدون في هذه الالعاب من الراحة والهناء ما لا يجدونهُ في القهاوي والمراسح وغيرها من النوادي العموميّة . فلم لا يعقدون شركةً يتّفقون فيها على مواظبة الالعاب الرياضيّة يوماً في الاسبوع كمساء الاحد فيجتمعون في ضواحي البلدة في ساحة طيّبة الهواء ويصرفون بضع ساعات على ابهج طريقة وانفع منوال وهم يتنسّمون هواء نظيفاً ويرتاضون بانواع الرياضات البدنيّة مع شبّان ادباء مثلهم . فان فعلوا دخلوا في نيّات الحبر الاعظم الذي بارك هذه الجمعيّات ولذّخروا لهم قوًى جديدة لمواصلة اعمالهم الشاقّة في بقيّة الاسبوع واقتصدوا في انفاق دراهمهم وصانوا اعراضهم من كل عيب ونفوسهم من كل ريب

نظر في تاريخ السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

عوّدنا قرّاءنا في غرّة كلّ عام على تلخيص الاعمال المهمّة التي جرت السنة السابقة